

جامع السيد هاشم في مدينة غزة... آثار وأمجاد

بهيج بهجت سكيك

مقربة من القبر وكان في الأصل مغارة (كهف) يقع في حي «الدرج» أحد أحياء غزة القديمة، وكان مرتفعاً عن باقي الأحياء (الزيتون- وحي التفاح- وحي الشجاعية)، ويصعد إليه بدرجات.

وقد تحولت المنطقة حوله إلى مقبرة كبيرة عرفت باسم مقبرة «الأوزاعي» نسبة إلى الشيخ عبدالرحمن الأوزاعي- الدمشقي- الذي قدم إلى غزة في القرن العاشر الهجري ويرجع نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري، وهو بالطبع غير «الإمام الأوزاعي» الفقيه المعروف والمدفون في بيروت وله مقام فيها.

كتب المؤرخ مصطفى الدباغ في كتابه «بلادنا فلسطين» الجزء الأول، الفصل الثاني، أن المماليك هم أول من شيد مسجداً للسيد هاشم، وكانت غزة تحت سيطرتهم وحذا حذوه المؤرخ عارف العارف في كتابه «تاريخ غزة» ص ٣٢٦.

مسجد السيد هاشم بن عبد مناف بشكله الحالي بني في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد الثاني وبأمر منه سنة ١٨٥١ ميلادية بناء على طلب من الحاج أحمد بن محي الدين عبدالحى الحسيني مفتى الأحناف بغزة.

وقد تبرع أهالي غزة بأموال وافرة لبناء المسجد واستعملوا في بنائه الحجارة المتبقية من جامع «الجاولي» الذي هدم وكان يقع قرب محطة سكة الحديد في غزة، ومسجد البيمارستان الذي هدم هو الآخر وكان يقع شرقي المسجد العمري الكبير، قرب مدافن آل الغصين.

يدل على ذلك الأعمدة الرخامية الجميلة التي تزين مدخل وباب مسجد

من منا لم يشاهد على شاشات الفضائيات غزة وقطاعها وهي تُقصف من العدو الصهيوني؟ أو لم يسمع صوت الصواريخ تدمر كل أثر حي في القطاع؟ وتصب «رصاصها المصبوب» بكل ما تملك من حقد على الشجر والبشر.. تحت سمع وبصر العالم الذي لم يحرك ساكناً، وموافقة بعض من ذوي القربى، شاركوا في حصارها وتجويعها.

العربية، وكانوا يتوافدون عليها بقصد التجارة وبضائعهم التي تصل إلى ميناء غزة- ميمونيا- لأنها واقعة عند ملتقى عدد كبير من الطرق التجارية، وكانت قوافل العرب تسير بين اليمن والشام (رحلة الشتاء والصيف).

وكان «هاشم بن عبد مناف» جد الرسول الأعظم ﷺ في إحدى رحلاته إلى بلاد الشام مات ودفن في غزة.

كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعمل في التجارة، وزار غزة مرات عدة وعمل فيها «ميرطساً» أي في تخليص البضائع (قومسيون) ويعرفها جيداً، وزارها بعد الفتح وصلى في المسجد الذي حمل اسمه (المسجد العمري الكبير). وبعد الإسلام كانت غزة أول بلد دخله العرب في فتوحاتهم لفلسطين بعد معركة على أبوابها عرفت باسم «دائن-الدميثة» يوم الجمعة ٤ فبراير ٦٣٤م بقيادة عمرو بن العاص وفي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

دخلت غزة حظيرة الإسلام ولاعتزاز «الغزيين» بوجود قبر جد الرسول «هاشم بن عبد مناف» قرنوا اسم غزة باسمه فصارت تعرف بـ «غزة هاشم».

المسجد

لا يعرف على وجه التحديد متى عرف الغزيون واهتدوا إلى القبر المدفون فيه هاشم بن عبد مناف بنوا مسجداً على

إنها «غزة» الصابرة الصامدة المجاهدة، الباسلة.. أعطت اسمها لشريط ساحلي جنوب فلسطين لا تزيد مساحته عن ٣٥٠ كم مربعاً، بعد حرب عام ١٩٤٨م وقيام دولة إسرائيل كانت تديره الشقيقة الكبرى «مصر» حتى عام ١٩٦٧م واجتياح إسرائيل لباقي أجزاء فلسطين - قطاع غزة- والضفة الغربية وسيناء والجولان من مصر وسورية، فخضع قطاع غزة بمدينة غزة، دير البلح، خان يونس، رفح وقراه لحكم الطاغوت وجبروته حتى يومنا هذا.

وغزة أو عزه وهو اسمها الكنعاني القديم لعزة موقعها ومناعته من أقدم خمس مدن في فلسطين أقامها الكنعانيون مع «عافر، وغات، وعسقلان، قبل نزول التوراة وادعاءات اليهود الباطلة في أرض فلسطين.

السيد هاشم

غزة قديمة قدم التاريخ، عرفت كثيراً من الغزاة، تصدت لهم وصمدت في وجوههم وطردتهم منهم المعينيون والسبائيون والفراعنة والهكسوس والآشوريون والبابليون والفرس واليونان والرومان، وانتقلت غزة من الوثنية إلى المسيحية، ثم استظلت بمظلة الإسلام. ظلت غزة وعلى مدى قرون متلاحقة على اتصال بالعرب في شبه الجزيرة

باحث أكاديمي

أما موضوع «العيد» ويقصد به الاحتفال بأيام العيدين- عيد الفطر المبارك وعيد الأضحى المجيد- فكانت تنصب «الأراجيح» والألعاب في ساحة كبيرة شرقي مسجد السيد هاشم يتجمع فيها مئات الأولاد للاحتفال بالعيد على غرار «مدينة الملاهي» اليوم، يمرحون ويقضون أيام العيدين التي أطلق عليها اسم «أيام المواسم».

غزة بعد النكبة

قبل عام ١٩٤٨م، كان كثير من الغزيين متزوجين من سيدات من باقي مدن فلسطين، وبعد النكبة انقسمت فلسطين إلى ٣ أجزاء: ٧٧٪ احتله اليهود باسم إسرائيل، ٢١٪ باسم «الضفة الغربية» ضمه الملك عبد الله جد الملك حسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية إلى مملكته وما تبقى وهو شريط ساحلي ضيق ملاصق لمصر تديره باسم قطاع غزة.

إن مسجد السيد هاشم، شبه مهجور اليوم، جدرانته متهاكة متداعية، هجرت جيرته الأسر الكريمة، وهو بحاجة إلى مؤسسة إسلامية أو متبرعين كرام يقومون بترميمه وتجديده وتوسعته وإعادة مكانته إليه!

نرى اليوم المحتل الغاصب يقتلع شعبنا من أرضه، ويقتلع حجارة الوطن وأشجاره ويدمر مدنه وقراه، يمحو حضارته ويحل محلها حضارة مصطنعة لشعب مجلوب! ما أصعب أن تكتب عن الوطن حين يكون الوطن بعيداً! أو أنت مبعد عنه.

ولا يسعني إلا أن أعلن شوقي وحنيني «لغزة هاشم» كما أعلنه الإمام الشافعي رحمه الله الذي ولد وعاش فيها فترة من الزمن:

واني لشتاق إلى أرض غزة ..

وإن خائني بعد التفرق كتمانني

سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها ..

كحلت به من شدة الشوق أجفاني



هو هاشم بن عبد مناف جد الرسول حيث مات ودفن في غزة

الصوفية والفرق الدينية (الشاذلية- العلوية- وغيرهما) فكان الاحتفال بالمولد النبوي يبدأ قبل موعده بأسبوع، وتخرج هذه الفرق من مقراتها بعد صلاة العصر تصاحبها فرق موسيقية ومنشدون وأعلام صفراء وخضراء تجوب الشوارع لتنتهي إلى مسجد السيد هاشم مع صلاة المغرب، وهناك تمارس بعض أنواع الشعوذة كضرب السيوف والحراش وهذا ما يستهوي العامة والسوقة من الناس، بقي هذا الحال من نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين حتى العدوان الثلاثي ١٩٥٦م واحتلال إسرائيل لقطاع غزة وانسحابها منه يوم ٧ مارس ١٩٥٧م ووجود قوات الأمم المتحدة في القطاع من ٢٧ دولة، فاستغلت هذه الاحتفالات لتصويرها وتشويه صورة الإسلام في بلادها (السويد- النرويج- كندا- الدانمارك- البرازيل- الهند، وغيرها) فقام الحاكم الإداري العام لقطاع غزة اللواء أحمد حسن عبد اللطيف- مصري- بإلغاء هذه الاحتفالات وما يشوبها من شعوذة .. وإلى الأبد.

السيد هاشم والرنوك التي تزين أبواب الغرف الغربية من المسجد، تبلغ مساحة المسجد حوالي ٤٠٠٠ متر مربع يحتل الصحن (الفناء) الخارجي نصف المساحة، أما الصحن الداخلي حيث المنبر والمحراب فلا يتسع لأكثر من ٥٠٠ مصل، في الزاوية الشمالية الغربية، توجد الغرفة المدفون بها السيد هاشم بن عبد المناف وفوقها قبة كبيرة ترى بوضوح من الجهة الشمالية والغربية يحاذيها مجموعة من الغرف يأوي إليها الغرباء تحولت فيما بعد إلى مدرسة للمكفوفين.

قريباً من المسجد توجد أملاك ودور لآل «الحسيني» وعلى الأخص ما عرف بـ «قصر الباشا» للسيد محي الدين بن عبدالحى الحسيني، مفتي غزة، أقيم على مساحة كبيرة يشقها شارع أقيم فوقه قنطره تصل أجزاء القصر الشمالية والجنوبية وعرف هذا الجسر باسم «سباط المفتي» ولا يزال قائماً إلى اليوم، كما أن لهم مدفنًا خاصاً في الجهة الشرقية، وكان المفتي يتولى إقامة الصلاة وخطبة الجمعة في مسجد السيد هاشم.

وكان الغزيون يولون اهتماماً كبيراً لإمامة المسجد والخطباء، فكان أعلم رجال الدين يتولى الإمامة والخطبة في المسجد العمري- أكبر مساجد غزة- نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يليه إمام وخطيب جامع السيد هاشم ثم إمام وخطيب جامع ابن عثمان في الشجاعية، ويتوزع باقي الأئمة والخطباء على مساجد غزة الكثيرة.

المولد النبوي والعيد

كانت غزة تحت حكم المماليك - البرجية والبحرية - الذين حكموا مصر وأجزاء من الشام وحل محلهم العثمانيون الأتراك وفي هذين العصرين انتشر الجهل والأمية، وازدهرت الحركات